يقوم كتاب شراك على سؤال محوري هو: ما الأسباب والعوامل الحقيقيّة الكامنة وراء قيام ثورات «الربيع العربي»، باختلاف تجلّياته وأنساقه من قطر إلى آخر؟

العربي الجديد بالتأسيساتي، فضلاً عن تلك التأسيساتيّة المنبثقة من المتون المتصارعة بين ثقافتين عريضتين ومتنوّعتين، وهما: الثقافة المحافظة بمختلف مكوّناتها ومرجعيّاتها وتلفيظاتها النظريّة والسياسيّة، كالتيّارات الإسلاميّة، سواء السنيّة أو السلفيّة أو الشيعيّة... والثقافة الحداثيّة بمختلف محمولاتها وتوجّهاتها وحساسيّاتها الفكريّة والأيديولوجيّة والسياسيّة، كالحساسيّات الليبراليّة والاشتراكيّة واليساريّة بمختلف الأطياف، والتيّارات العلمانيّة واللائكيّة.[١]

وخصّص الباحث القسم الرابع لدراسة ملامح بناء الدولة الجديدة في أرض الثورات من خلال تحديد ترسانة من المفاهيم، وعلى رأسها مفهوم الدولة، والدولة الإسلاميّة والدولة المدنيّة والدولة الديمقراطيّة والدولة الوطنيّة، محاولاً الإجابة بطريقة أو بأخرى عن آفاق الدستورانيّة والاستحقاقيّة، وهل صناديق الاقتراع كافية لتأسيس دولة جديدة؟ وما هي أهمّ الملامح؟ وأين تكمن التأسيساتيّة التي تأخذ تلوينات نظريّة حسب هذا القطر أو ذاك، حسب هذه التجربة أو تلك؟ انطلاقاً من الاختلافات الموجودة بين الثورات في تونس ومصر واليمن وليبيا وسورية...اختلافات امتدّت إلى بلدان الإصلاحات السياسيّة في أفق تأسيساتيّة قد تكون بمضمون مختلف، سواء لدى الثورات أو الاحتجاجات.[٢] في حين خصّص القسم الخامس والأخير لبيبليوغرافيا الثورات.

خلفيات الثورة ودواعيها بين الاستبداد والإعلام الجديد

إذا كان الإصلاح كما مرّ بنا، وعبر امتداد التاريخ العربي، هو نقطة تمفصل الاستبداد والثورة، والحاضن للاستقرار والتغيير من داخل الأنساق المؤسّساتيّة والمجتمعيّة، دون تهديد للحمة الاستقرار وغاياته الكبرى، فإنّ الثورة، حين يشتدّ الاستبداد وينغلق على نفسه وعلى المجتمع، تصبح طريقاً وحيدة بكلّ ما تحمله من مخاطر، ولذلك، وجدنا أنّ اختلاف الأنظمة والدول في العالم العربي قد جعل خريطة «الربيع العربي» لا تستقيم والتعميم والتنميط الذي يُسقط الباحث في الأحاديّة والذاتيّة، ويقفز عن الموضوعيّة والاختلاف في الأنساق المؤسّسة للاجتماع في كلّ قطر على حدة. من هنا، فالحالة التونسيّة ليست حتماً هي الحالة المصريّة، والحالة الليبيّة أو السوريّة ليست حتماً هي الحالة الأردنيّة أو المغربيّة،...وهكذا. من هنا، وسم الباحث الإصلاح بالطريق الثالث الذي يعتبر مختلفاً عن الطريق الجامد والراكد سياسيّاً بالنسبة إلى بعض البلدان التي ما زال فيها الاستبداد هو العنوان السائد، وما بين الطريق النقيض، وهو الطريق الثوري الذي أطاح برؤساء الاستبداد والأنظمة الديكتاتوريّة.[٣] لكنّ السؤال المركزي هو: ما الأسباب والعوامل الحقيقيّة الكامنة وراء قيام ثورات «الربيع العربي»، باختلاف تجلّياته وأنساقه من قطر إلى آخر؟

سؤال محوري في كتاب عالم الاجتماع المغربي أحمد شرّاك، يقوده تفكيكيّاً إلى دراسة كلّ حالة على حدة، كي لا يهدر الاختلاف السياسي، الدستوري، الاجتماعي، الثقافي، القائم بين كلّ بلد وآخر، حتى وإن كان القاسم المشترك من الماء إلى الماء قائماً بقوّة، ومتمثلاً في الاستبداد والجمود من جهة، وارتفاع وتيرة الطلب الاجتماعي على الشغل، الكرامة، حقوق الإنسان وفقدان الثقة في النسق السياسي القائم جملة وتفصيلا من جهة ثانية.

وفق منطق تحليلي وتصنيفي، يجيبنا أحمد شرّاك عن خلفيّات ومرجعيّات «الربيع العربي» الثوري في صفته التقريريّة، مقسّماً الأسباب والعوامل إلى داخليّة وأخرى خارجيّة.

١- أحمد شرّاك، سوسيولوجيا الربيع العربي، ط١، مقاربات للنشر، المغرب، ٢٠١٧، ص ٧
٢- نفسه، ص٧
٣- أحمد شرّاك، سوسيولوجيا الربيع العربي، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠